المجلد: 17 العدد: 02/ مارس 2022
ص 458 - 466
ISSN: 1112-7015
EISSN: 2602-5973

الميتا لغة في شعر سليمان العيسى (قصيدة " طليعة الألم" نموذجا) دراسة سيميائية-تحليلية.

Meta language in the poetry of Sulayman al-ʿIsa (the poem "Vanguard of Pain" as a model) analysic- simiatic study

بران نصيرة *

جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم (الجزائر)

nacera.berrane.etu@univ-mosta.dz

تاريخ الإرسال: 2021/02/27 تاريخ القبول:2021/04/04 تاريخ النشر: 2022/03/28

الملخص: في ظل السعي العلمي المتزايد نحو تقنين ظاهرة التأويل و التحليل كان لابد علينا استيعاب الأصول الابيستيمولوجية للنظرية السيميائية كما أن مفهوم الحداثة دفع النقاد الى استثمار علوم اللسان و النقد الأدبي من أ جل مقاربة النص الشعري بمنهج يسمح بتحديد أدبية الخطاب و بؤرة الفعل الشعري في كل نص إبداعي و يبدو أن السيميائية منهج يسمح للدارس بمدى أوسع من التفكير و حرية أكثر من التحليل و يلقي عليه مسؤولية أكبر إذ يتطلب الفهم و الرؤية و التأويل و قد غزت الدرس النقدي الحديث و وفرت له سبل قراءة جديدة و مغايرة اكثر عمقا و تعددا راهنت على كثافة النص و عمق طبقاته و غنى عتباته و ثراء معناه و إشكالية خطابه و لعل هده الدراسة تكشف لنا قدرة هدا المنهج على مقاربة النص الشعري العربي المعاصر من خلال قراءة شعر قراءة سيميائية.

الكلمات المفتاحية: الشعر ؛ الخطاب الشعري ؛ القصيدة ؛ الرمز؛؛ سيمياء؛ دلالة ؛ المعنى؛ التحليل؛ السرد ؛ الوصف

ABSTRACT : In light of the increasing scientific endeavor towards codifying the phenomenon of interpretation and analysis, we had to comprehend the estemological origins of the semiotic theory, just as the concept of modernity pushed critics to invest in the sciences of the tongue and literary criticism in order to approach the poetic text with a method that allows for determining the literary discourse and the focus of poetic action in every creative text It seems that semiotics is a method that allows the student to have a wider range of thinking and more freedom than analysis, and places a greater responsibility on him that requires understanding, vision and interpretation. It has invaded the modern critical lesson and provided him with new and different ways of reading.

key words: Poetry ; poetic discourse ; poem ; symbol ; simia ; semantic ; meaning ; analysis ; narration ; description

1. مقدمة

بحكم أن طبيعة البنية الشعرية تستدعي لغة واصفية تليق بمقامها، اقتضى من المفاهيم النظرية السيميائية أن تجد ما يبرزها في واقع التصور الشعري الذي يعتمد في الغالب على توارد الالفاظ وقف ما يراه الشاعر يستقيم مع تلك المعاني القائمة في نفسه وعليه قد نجد في سائر البنى التركيبية الشعرية ما يخالف القاعدة النحوية وحروفها التي اتفق عليها النحاة. التعامل مع هذا النوع من الخروج غير المألوف وجدتنا ملزمين ان نقتفي أثاره الاتجاه السيميائي الذي نعتقد أنه يحل هذا النوع من الخروج عن المألوف في

* المؤلف المرسل

شأت الصيغ والعبارات ومستلزماتها القواعدية على هذا الأساس فأنه لا يتم هذا النحو من التحليل للبنيات اللغوية في النظام الشعري الذي يتميز بخاصية الدوام الفعال الذي يفترض إعادة الخلق المتجدد في صورة مماثلة. إلا بالاعتماد على المادة نفسها التي تكون منها النص الشعري، والذي يساعد على النفاد في عالم الخطاب الشعري والكشف عن أسرار بنائه وخصائص السيميائية لأسلوبه الفني المتنوع الذي هو معروفة كيفية إضاءته، وفحص مرتكزة الضوئي، وبيان الوجوه الممكنة للتركيب وتواتره من خلال الأشكال التعبيرية المبنية على الألفاظ والعبارات عن طريق تداخلها ببعضها البعض بانتظام وسلاسة مع الضابط النحوي.ازدادت مسألة تحليل النص إشكالية مع تطور الشعر الحديث بخاصة الشعر الحر , وغدت أكثر تعقيدا , وأضحى النص الأدبي إشكالية تؤرق قارئه . فالنص لا يعطي القارئ ما يريد ,لأن لغة الشعر مراوغة تخفي أكثر مما تبدي . وتضمر أكثر مما تظهر من هنا بدا العجز عن فك شفرات النص , فكان لا بد من أليات جديدة لقراءته تضارع مراوغته . فهل هناك تماثل بين آليات التحليل السيميائي وجماليات النبض الشعري الحداثي في القصيدة لشاعر ثورة الجزائر.

هدف البحث

يهدف البحث إلى استكشاف مدلولات النص المحتملة مع محاولة ربطه بالواقع بالإضافة إلى تبين معالم التجديد النقدي في تحليل النص الأدبي , متخذا من المنهج السيميائي أنموذجا في ممارسته النقدية في تحليل النص الأدبي ٬ وإظهار قدرته على إثارة قضايا فكرية وتارخية واجتماعية أدت فيما بعد إلى إثراء أدبي على مستوى اللغة والتأليف وإثارة حركة نقدية لا يستهان بها على امتداد الساحة العربية.

2 - خصائص الخطاب الشعري عند سليمان العيسى:

تشتمل هذه القصيدة على مواصفات جديدة توحي بأن النص الشعري كان يوظفها توظيفا مقصودا، ويلح عليها لتؤدي عنه دلالات تاريخية أو اجتماعية أو جمالية أو نفسية مثل: الدمع، الألوان ,اليد وغيرها، وهذه السيرة اللغوية الأسلوبية التي يتفرد بها النص الشعري ويحاول إيجاد بنيته الخطابية عبرها.ومنها ما يأتي

2.2_خصائص أسلوبية

الوصف في السرد حتمية لا مناص منها له، اذ يمكن كما هو معروف، أن نصف دون أن نسرد، ولكن لا يمكن أبدا أن نسرد دون أن نصف، كما يذهب الى ذلك جينيت[1].

وللوصف علاقة حميمة بالسرد حيث يظهره على النمو والتطور، كما يبدد من بين يديه، كثيرا من الأسئلة التي قد يلقيها الملتقي على الخطاب الشعري السردي لو لم يتدخل الوصف لتوضيحها كوصف.

ولا ينهض الوصف بوظيفة السردية حتى يشمل المناظر الطبيعية والأحياز الخارجية كالشمس -نجم- السيول-النار – بركان – جبال – سماء.

<u>أ/التكرار:</u>

التكرار كالوصف من خصائص اللغوية المحتوم لزومها الاعمال الأدبية، سردية كانت أم غير سردية. فقد ألفينا التكرار سمة من سمات الأعمال الأدبية الخالدة. وذلك لأن المرء حين يطول حديثه عن شيء أو حدث هام أو قصة واقعية تاريخية يضطر إلى تكرار بعض الألفاظ، أو بعض الأفكار، أو بعض العبارات.

لأسباب مختلفة منها:

إن طبيعة الموضوع المعالج تقتضي تكرار معان بعينها،وأفكار بعينها، لتوظف فنيا وتقنيا، في مواقف معينة من مثل: " ما كان يعرف ....." " المقابر". " مثل الحياة من الرمم«، مثل الربيع من العدم".

ذلك أن لكل شاعر معجمه اللغوي، كالموسيقار الذي يكون له معجمه الموسيقي،والرسام الذي يفترض أن يكون له معجمه اللوني،وهلم جرا.... وما ذلك إلا لأن الشاعر حين يحترف تنميق الكلام، تتمكن من قريحته عبارات بعيثها فتراه يرددها في العمل الأدبي فتصبح لازمة ولا تزايله، كما أننا لا نريد أن نزلق الى تحليل هذه المسألة بمنهج موضوعاتي اذ مثل ذلك سيزيحنا عن سبيل المنهج الذي رسمناه مند البدء.

ونود أن نتوقف لدى بعض مظاهر وظفت في القصيدة واسترعت انتباهنا تفكك عنوان النص " طليعة الألم" الى وحداتها المتجانسة الاولى قبل التركيب من جديد.

وإذا كان المظهر الأول يتصل ببناء شخصية الطفل الشريد ومعاناته، وانما الأسلوب يأتي لدى المحلل في المرتبة الأخيرة، فان الامرين الآخرين يندرجان في تصميم أسلوبيه الخطاب السردي لدى سليمان العيسى في هذا النص الشعري.

ترداد عبارة: " يقول لي: لازلت حيا" كان النص يردد هذه العبارة في المواقف التي تفترض الصمت من الشاعر فألفيناها تتكرر هذه العبارة التي أصبحت لازمة من لازمات هذا الخطاب الشعري، فشكلت خاصية من خصائص الأسلوبية هي: تكرار العبارة من مثل الحياة من الرمم زهاء مرتين إذ لم يكن هذا التكرار لغاية جمالية،ولا ينبغي له أن يجسد أي سيميائية إلا أن تكون سيميائية التكرار مجردة عن أي وظيفة جمالية أو نفسية تذكر وانما هو مجرد لازمة رتبيه للنص لم يستطيع لها دفعا و يزيدنا ذلك التكرار اقتناعا بأنها حقا هي الفكرة الأساسية من حيث تواتر ذكرها في النص.

ب/التشبيه:

إن البحث في شأن هذا التشبيه القابل للحصر بيسر في القصيدة، قد يعطي فكرة عن كيفية تعامل النص مع هذه الصور البيانية التي لا يخلو منها أي أسلوب أدبي، فلزوم التشبيه للكتابة الأدبية أخص الخصائص الاسلوبية لأي ابداع: سواء علينا كان هذا الابداع قصيدة ام قصة. فمثل هذا التشبيه نجد في قوله " كأن لطمة" "كشلال الشروق". عن أهلي المتمزقين كأنهم بدد الغيوم.

3 .2 خصائص سيميائية:

عنوان القصيدة (النص الشعري)

نلاحظ أن عبارة: طليعة الألم تعني وصف لحالة مأساوية تحمل في طياتها مسحة الحزن والعنوان لا يدخل في إطار اللغة الجديدة، ولا يحمل أي دلالة خارقة حتى أنك لا تكاد تسمعه وتنطق به حتى تتبين أنك مقبل على نص يصور جوا ثوريا قاهريا وشعبا خالصا صامدا، فهذا العنوان يوشك أن يحدد موضوع القصة الشعرية وبيئتها. كما يحمل مدلولات ظاهرة تؤسس لعلاقة داخل البناء النصي المتكامل فالنص يمثل جزءا

من خطاب كلي يقوم على فكرة ثالوث متكون من الذات – الزمان –المكان .ومدى انعكاس ذلك على النفس الجزائرية العربية التي يعيشها أبناء هذا الشعب فالظلام والشعور بالضياع والغيوم وغيرها من الكلمات المبثوتة في فضاء النص هي فواصل مهمة في عقلية الشاعر "سليمان العيسى" لذلك يحاول أن يلج إلى هذه الرؤيا عبر بوابة الكلمات الموحية.

الدمع:

قد تكون دمعة ما أكثر تعبيرا،وأصدق دلالة من خطبة طويلة تلقى أو كلام كثيرا يقال، فما أكثر ما يتحدث الدمع من العين إلى القلب، فيفهم عنها كل شيء ولكن ذلك يقع بفضل استقبال العين الأخرى للدمع المرسل، لأنها بحديثها ذاك الدمعي لا تعدو أن تكون قد ترجمت حديث قلب الأخر. والدمع ذو خصوصية سيميائية عجيبة. لأنه يتعلق بملامح الوجه الذي قد يمثل السرور كما يمثل الحزن، ويمثل الغضب كما يمثل الرضا، ويمثل الذهول كما يمثل التحفز ويمثل العنفوان ويمثل النضارة أو الشحوب إلى كثير من المعاني التي لا يمكن حصرها.

سيمياء اليد:

يقودنا استنطاق البنية الدلالية في القصيدة إلى فرز دلالات الإيحاء الواردة في كلمات النص وعبارته بحثا عن النموذج/ الأيقوني والمتمثل في " اليد" التي تحضر كعلامة بارزة تنتج سلطتها الرمزية مالا تنتجه عشرات الجمل الإنشانية والخبرية، ضمن تفسير بلاغي يتوارى تارة خلف لفظ الفعل الحركي الذي يعد بالمعنى النحوي قلب اللغة النابض حين يتبدى في أفعال الحركة والتحويل (تلوح-يشد-أدق) هذا التدبير الحركي لليد لغويا داخل النص هو تعبير مضمر عن رغبة في التغيير وتكسير جمود الأوضاع المزرية التي ترفضها الذات الشاعرة والمجتمع.إذا بواسطة اليد يحدث الشاعر فعلا كونيا في لغته،وهو الكون الذي يرغب الشاعر في إخراجه من اللاوجود الى الوجود كون اليد تتخذ فيه أبعادا حربائية، لأنها تبسط الخير وتبحث عن حلقات الانسجام بينه والطبيعة كيد الصديق للصديق، واليد الموصولة الحب لا تشيخ قدرتها على منح الود والأمان.

الألوان

لقد اندمجت الألوان في السلوك الحضاري المعاصر فأصبحت تكتسي دلالات و تشكل خطبا تفهم كما تفهم الخطب الطبيعية من مثل الأحمر الدي يدل على الخطر و الأسود الذي يدل على الحزن و الأبيض على السلام و الأخضر الذي يدل على الأمن و الأصفر يدل على الحدر و الحيطة في قانون المرور فاللون ادن في الذهنية المعاصرة للإنسان لم يعد مجرد لطخة من الصبغ و انما اصبح كل لون يرمز الى سيميائية الى عالم من الرموز و اتخذ اللون وظيفة تكنولوجية حين حل محل اللغة و محل الكتابة و لدى تتبعنا للألوان في هدا النص الشعري الفينا لونين فقط فارتاينا تقسيمهما اجرائيا الى لونين رئيسيين هما :

ا)- الظلام:الذي يعني السواد الذي يشير الى اللون الأسود و ما في حكمه في "الطبيعة الألم" و تكرر الظلام و الظلمة مرتين و يتضح لنا من خلال هدا الرقم ان النص الشعري الدي ندرسه لم يكن بريئا إزاء اصطناع هدا اللون بل كان يوظفها توظيفا دلاليا يستخرج أعمق الخلجات و أغوار اللواعج، فيجسدها بارزة بل

مرسومة ,ملتصقة بالشخصية و الحالة الكئيبة التي تعيشها ,متبجسة من عواطفها الصادقة المتضرمة بما فيها من حب و بغض و ما ينشأ عنهما من صراع و كبت و عقد ...و لابد من ان نلاحظ ان صفتي الظلام والظلمة و ما في حكمها لم ترد في النص غالبا الا بقصد التهجين او الدم و الشر او التشاؤم أو الغضب او للشيء غير المشروع عامة أو الدلالة على حال من الحزن الملم كوصف مواجع

ب) -اللون الوضيء: لقد تكرر هدا الصنف من اللون البياض مرتين فقط، وبتخصيص الحديث عن هدا اللون وما يتفرغ عنه من ألوان فاتحة، مضيئة تجسد التفاؤل والخير والمدح والمشروعية،وكل الأشياء الميمونة والمباركة فالضوء والنور في هده التشكيلة اللونية يرد في السياق المدح،والحي –الرضا والسعادة فكأننا بمجرد رؤية ضوء متألق على وجه من الوجوه، ندرك أن صاحبه سعيد راض مرتاح. كما يتجسد دلك من خلال هذه الشواهد:

3. الأبعاد الدلالية للنص الشعري.

3 .1تحليل المعنى العام .

يعرض الشاعر سردا قصصيا واقعيا عن بداية معايشة الألم للحياة التي عاشتها بلدة جزائرية في منطقة قسنطينة، حيث " تعرضت لمذبحة بشعة من مذابح الاستعمار الفرنسي في 8 أيام سنة 1945، يردد الشاعر الجزائري اسمها كثيرا في شعره" . و ذلك في قوله : "ما كان قد سمع اسم غلامه ما كان يعرف يا صديقي أن مذبحة رهيبه و ترتب عن ذلك مآسي اجتماعية و إنسانية. فالألم قائم بذاته - حتمي- كطفل صغير شريد يتفتح على الضياع الذي تبناه، و لم يشفق عليه، و كان بمقدوره أن لا يرضاه... فتجسدت بهذا الرسالة التي يريد الشاعر إيصالها، وهي أن الموت صنو الحياة و الألم رديف الأمل لذلك لم يكن عجيبا أن يحتفي الشاعر بالألم و يسميه بالطفل الشريد في مستهل قصيدته.

وقد فرضت الشحنة الشعورية المتماوجة على الشاعرة أن يعمد إلى الإيقاع الحزين من خلال تغيير و تنويع قوافيها بين كل مجموعة الأسطر و الجمل الشعرية، فالقافية لا يمكن لها أن تكتفي بدور الضابط الموسيقي المجرد، و إلا فإن القصيدة تفقد بذلك جزء مهما من حيويتها و قوة أدائها إذ لا بدلها أن تشترك اشتراكا فاعلا في التشكيل الدلالي لأن صلب وظائف القافية هو الربط بين أجزاء القصيدة و جعلها كيانا مؤسسا على تلاحم الوحدات المكونة، فإنها تستلزم بالضرورة علاقة دلالية بين الوحدات التي ترتبط بها فتحقق وظيفة ذات مستويين، المستوى الأول : الإيقاعي و هو مستوى داخلي بغرض التأثير في الملتقي،وقد ربط سليمان العيسى بين الوزن و الموضوع فصار الجرس صدى للمعنى، و ليس مجرد أصوات.

إن الشاعر فنان صاحب رؤية دقيقة، تجعله يقف من العلم و الثورة الجزائرية موقف المكتشف، يتوجه نحو الأشياء (قيثاري...) بما فيها الطبيعة كاستخدامه سماء- نجوم لايكون أفكارا عنها، بل ليكتشفها فيكتشف نفسه من خلالها، كقوله: "وحملت للميداني بركاني قيثاري، و حبي. "

ومن سمات المكتشف أنه يختار، لذا كان الاختيار سبيل الشاعر إلى تكوين النص و إنتاجه، فا لوز وحده لا يكفي، و كذلك الكلمات، وهي مفردات أو مركبات كما يتداولها الآخرون، و الرؤية الفكرية وحدها لا شعرا أو نصا شعريا.

من هنا يكون الاختيار بعضها لا يعني نفي قيمة البعض الأخر، لأن الشاعر ممثل للعقل الجمعي و الفردي فنصه لابد أن يأتي معلنا عن هذا التاريخ في قوله :

و مضيت يا وهران أسأل عن سمائي، عن نجومي،

عن قبر تاريخي العظيم

و قد يكون نصه الشعري هذا موجها لنصوص أخرى، إما بالصراع معها، أو إزاحتها، أو البقاء في ظلها. يعتبر الشاعر أن الألم حتمية: نحن وجدناه على دربنا في قوله " و مرارة في الدرب."

و ما زاد في تكريس الحالة الشعورية ظاهرة أسلوبية هي التكرار في قوله: " مثل: الحياة من الرمم، مثل الربيع من العدم" ليقول لي: ما زلت حيا.» إن التكرار إن لم يكن له مبرر نفسي عد سخفا، و التكرار لا يقوم فقط على مجرد ترديد اللفظة في السياق الشعري، و إنما ما تتركه هذه اللفظة من أثر انفعالي في نفي المتلقي، و بذلك فإنه يعكس جانبا من الموقف النفسي و الانفعالي، و مثل هذا الجانب لا يمكن فهمه إلا من خلال دراسة التكرار داخل النص الشعري الذي ورد فيه، فكل تكرار يحمل في ثناياه دلالات نفسية و انفعالية مختلفة تفرضها طبيعة السياق الشعري، فالتكرار إحدى الأدوات الجالية التي تساعد الشاعر على تشكيل موقفه و تصويره و لابد أن يعتمد التكرار بعد الكلمة المتكررة حتى لا يصبح التكرار مجرد حشو، فالشاعر إذا كرر عكس أهمية ما يكرره مع الاهتمام بما يعده حتى تتجدد العلاقات و تثرى الدلالات و ينمو البناء الشعري.

4. تحديد بناء النص .

تناول الشاعر في مطلع القصيدة عن علاقة الإنسان مع الألم معتمدا النمط السردي :

- زمن الأفعال: الماضي – المضارع ".
- الضمائر: ضمير المفرد الغائب الدال على الإنسان .
- ضمير المفرد للمتكلم الدال على الشاعر.

أما الضمائر الموظفة (المصطنعة) في النص الشعري فقد تأملنا أمرها فألف يناها هي أيضا. لا تخرج عن إطار البناء السردي للزمن الذي جاءت عليه الأفعال تأسيسا حيث اننا نلغي شبكة مؤلفة من تشاكل وتباين ضميرين تجسدها الشبكة السيميائية الآتية.

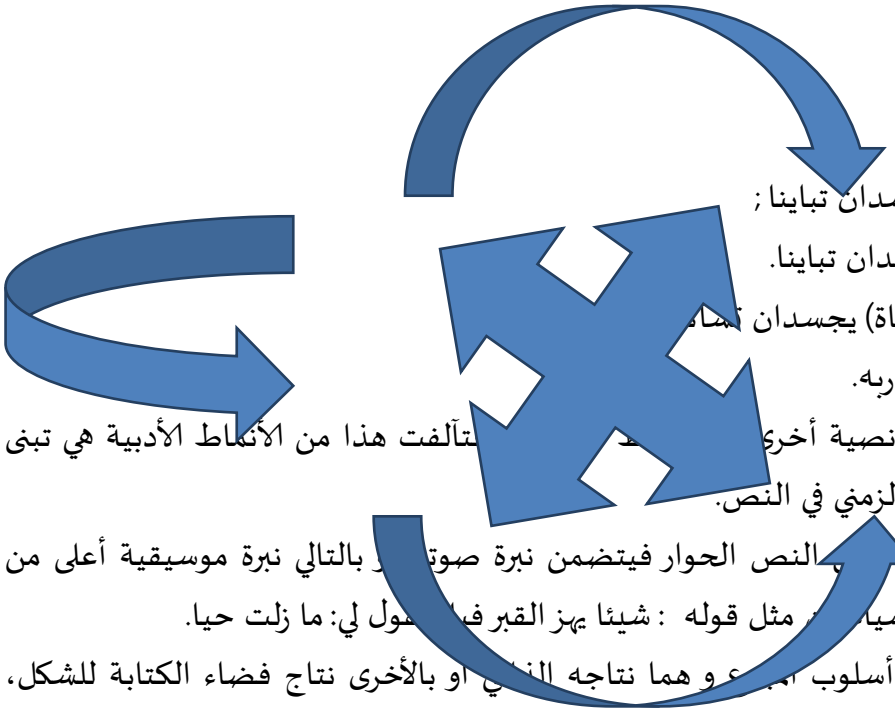

حيث أن: -المتكلم مع الغائ[illegible]سدان تباينا ;

- وال[illegible]ع المتكلم يجسدان تباينا.

- وال[illegible]اجاة) يجسدان تماث[illegible]

الحدث: الإنسان وجد الألم على دربه.

إضافة إلى اعتماده أنماط نصية أخرى [illegible]تآلفت هذا من الأنماط الأدبية هي تبنى شعرية، والسرد فيها يمثل البعد الزمني في النص.

الوصف يجسد البعد المك[illegible]النص الحوار فيتضمن نبرة صوت[illegible]ر بالتالي نبرة موسيقية أعلى من غيرها، و يمثل حوار الذات مع الأشيا[illegible] مثل قوله : شيئا يهز القبر فا[illegible]قول لي: ما زلت حيا.

فالسرد و الوصف يمثلان أسلوب [illegible]و هما نتاجه النفسي او بالأخرى نتاج فضاء الكتابة للشكل، بينما الحوار هو أسلوب الفرد في التعامل مع الآخرين، أي أنه نتاج الواقع و المجتمع.

امتزاج الشعر بأجناس النثر المختلفة صار ضروريا لأسباب عديدة، منها:

- رؤى الشاعر التي تود أن تتسع و تتنوع و أن تكون أكثر كونية من جهة.

-الإيقاع الداخلي للشاعر بالإضافة إلى إيقاع اللحظة التاريخية المحيطة به، ترغبان بالانفتاح على ما هو جديد و مغاير و مختلفة من جهة.

-تنوع النمط يساهم في تنوع الإيقاع.

-استخدام ضمير معين في السرد هو في الوقت نفسه موقف من العالم المحيط.

النمط النصي الموظف في الفقرة الأولى من المقطع الشعري الأول هو النمط الوصفي: وصف الانفعال، الاسم (الطفل) و هو الموصوف النعت (الشريد .(

5 . تفحص الاتساق و الانسجام.

الخيط الشعوري"الميلوديا" الرابط بن أجزاء العمل الأدبي الذي يعطيه وحدته ومعناه تمثل في مسحة الحزن.

شعر التفعيلة يساعد في أن يكون الحوار رشيقا قي بنية القصيدة و يمنحها حركة النثر و مرونته.

و يلاحظ على لغة الشعر الحر تعتمد إل التعقيد، و لغة آت من كون اللغة المستخدمة فيه بسيطة في دلالاتها الأصلية، عميقة في معانيها النصية، و لأنها من جهة أخرى ترتبط بعلاقات سياقية و تاريخية و شعورية لابد من فهم مراميها أولا، ثم الغوص في دلالات البناء الشعري الحديث، و الحقيقة أن الغموض أو الإبهام أصبح ظاهرة تغلف أروقة القصيدة إيمانا من الشاعر بضرورة أن يكون النص من طبيعة تجربته. و نلاحظ أيضا على لغة شعره في مرحلة الثورة أنها لغة فضفاضة بعيدة عن التركيز الذي كنا تفسير افتقاده في الشعر العمودي بالتزام الشاعر بطول ثابت للبيت الشعري . "

الربط باستخدام الرابط اللغوي

الرابط اللغوي بين الفقرات الأولى و الثانية هو الربط و الجمع بينهم، و قد دلت الواو في قوله"و على انتفاض طليعة الألم المكفن في المقابر". على وملازمة الألم لنا مع الدوام بلا انقطاع، و الواو حرف عطف وظيفته الأساسية هي الربط و يتيح لنا هذا الربط تلخيص ما سبق من باب التذكير. كرسم مشهد بين كيف نشأت علاقتنا بالألم و الإشارة لما سيأتي "استسلامنا له وتعلقنا به."

الانسجام بين آخر المقاطع الشعرية و آخر فقرة من المقطع الأخير يتمثل في تعلقنا بالألم و في ذات الوقت الرغبة في تجاوزه، و في ذلك تكريس للموقف.

و يتابع الشاعر بحثه عن لغة الواقع التي تغتسل بشفافية الرؤيا الدرامية متجاوزة إياها إلى محاولة طرح لغة القصيدة، ففي قصيدة يتابع خط بحثه الشعري برسم لغة شعرية من داخل عناصر الواقع، الأكثر بساطة إنها لغة تعبير عن رغبة إنسانية في تصديق ما تراه و ما تسمعه إنها لغة نقل الحقيقة الفنية لكي تسري هذه روحه الملحقة في سماء أخرى، غن الشاعر سليمان العيسى، المقدمة في إطار درامي بعينه، يجب أن تحمل كل تفاصيل بناها، أسباب اتساقها مع هذه المسحة الدرامية الكثيفة التي تجد فرصتها في مثل هذه المواقف، و نزعة السجن الأليمة أن تتحدث بلغة التجسيد الواقعي، و الواقعية في الأدب تتنوع فها الأساليب و أشكال التعبير تنوعا لا حدا له فقد تستخدم الرموز و الأساطير و الأحلام إلى غير ذلك.

استمدت الصورة الشعرية شرارتها من المعاناة الإنسانية الذاتية و الجماعية بسبب الحروب التي شنها الاستعمار الفرنسي، كما نهلت الصور الشعرية جماليتها و فنيتها من أسلوبي الإيحاء و حوارية الرمز داخل الصورة، بين سنوات القهر و الضياع، و أنشودة الاحتجاج و التمرد و مسودة الحاضر و يظهر ذلك من خلال قوله : " وتمرد الدمع الذي مل البكاء.. بلا محاجر" بكائية ساخرة، هل يبكي دمع على فراق أمل ؟ بما ليس البكاء ما أراد و لكن البكاء الذي أراد و لو مرة أخيرة، على أن يكون رفقة رفاقه و أهله أو لوحته العابرة إنها ذاتية تؤكدها، الجملة المكررة (يقول لي...) الموحية بتكثيف الدلالة، فقد أضناه منظر المذابح و المقابر و المراحل التاريخية المعروضة في خزان الذاكرة العربية، إن رمزية صورة الألم عمق من مستوى الإيحاء و الموت الذاتي.

و قد رسم الشاعر بصور القصيدة الشعرية عالمين متناقضين: عالم الخراب و الدمار، و عالم السلام والأمل و التآخي .

مستغلا في ذلك أساليب بلاغية متنوعة كالمجاز و الانزياح و الاستعارة و التشخيص: (كالرسيم من العظام-طليعة الألم المكفن في المقابر و لعل هذا المزج في الصور الشعرية بين عالمي الخراب و السلام المعاناة و الأمل /الحزن و التفاؤل/ الانكسار و الطموح) هو ما جعل النص يكتسي نوعا من الصراع الدرامي بين هذين العالمين، هذا الصراع الذي يتكسر و يتفجر و يخدم بفعل الثورة ضد العدوان، و تضعف معه سبل الدمار و الخراب كلما تكررت هذه اللازمة : " مازلت حيا ."

و من الظواهر التي ظهرت جلية في شعره ظاهرة الحذف على أنها أداة تشتت، لكنها في هذا الفصل تسهم في خلق خطاب و إنتاج نص على أنها تمنح القارئ حرية أكبر في التأويل و تجعله يشارك في فعل الكتابة بملء الفراغات المتناثرة على جسد النص و مساءلة المعاني الحافة ."

6- عن إجمال القول

من خلال تحليلنا للنص يمكننا أن نستخلص ما يأتي أن ظاهرة الحزن والألم عند الشاعر متجدرة في الضمير الجمعي للشعوب العربية إلى حد بروز هذا الموقف المتناقض من الظاهرة بين الرغبة في تجاوزها والمحافظة عليها محافظة حميمية تعاطفية. وقد عبر عن هذا الموقف ,من خلال بناء شعري تصويري سردي لعب فيه الخيال واللغة الممزوجة بين البساطة والعمق الدلالي, والبناء الموسيقي الخادم الموقف والمتفاعل معه, الدور البارز في بلورته. كما يظهر الاهتمام بفضل الشكل الطِّباعي في ديوانه لماله من وقع على الحياة الأدبية فكان بذلك أثره على الأعمال الإبداعية سواء كان خارجيا او داخليا كالسواد والبياض،وعلامات الترقيم والعلامات الإعرابية التي لعبت دورا كبيرا في إيصال تجربة الشاعر الشعورية في حين نلمح تواري اللغة وراء حجاب لتأخذ محلها، تلك العلامات السيميائية دلالات وإيحاءات كثيرة .ليأتي دور القارئ ليساهم في عملية التفكيك على مستوى النص ولغته. فكان بدلك ديوان الجزائر (شعر الثورة) لسليمان العيسى، ميدانا خصبا مورست عليه جملة الاشكال الطباعية فكانت بمثابة تفضيه حملت في طياتها معان عدة تنم عن الحالة الشعورية التي يمر بها الشاعر إزاء أوضاع بلاده.

الهوامش

1- عبد الملك مرتاض:تحليل الخطاب السردي معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية "زقاق المدق" ديوان المطبوعات الجامعية –الجزائر-1995ص 264.

2- سليمان العيسى ديوان الجزائر شعر الثورة أطفالنا للنشر والتوزيع الجزائر الطبعة الأولى 2010

3- فتحي رزق الخوالدة , تحليل الخطاب الشعري , ثنائية الاتساق والانسجام في ديوان" أحد عشر كوكبا" .أزمنة للنشر والتوزيع عمان – الأردن ط 1, 2006

4- عبد الملك مرتاض ,تحليل الخطاب السردي ,معالجة تفكيكية سيميائية مركبة ,لرواية زقاق المدق , ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر سنة 1995